الحجرة السوداء

و قصائد أخرى

شعر

ياسين بوذراع نوري

ياسين بوذراع نوري

الحجرة السوداء

شعر

دار المثقف

الحجرة السوداء الطبعة الأولى
ياسين بوذراع نوري
السداسي الثاني 2017 - 1438 هـ
ردمك: 978-9931-663-54-6
جميع الحقوق محفوظة لدار المثقف للنشر والتوزيع
العنوان: رقم 11 شارع الاستقلال - باتنة - الجزائر
هاتف: +213.675.49.73.86 **فاكس :** 033.85.65.75
البريد الالكتروني: Elmouthakaf2@gmail.com
يمنع اعادة إصدار أو نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على الأشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطّي مسبق من النّاشر.
تصميم الغلاف: عبد الرزاق طواهرية
الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي النّاشر.

دار المثقف
للطباعة والنشر والتوزيع
الجزائر

الإهداء

إلى الذين تحمّلوني صغيرا وكبيرا.. أبي.. أمي.. وزوجتي.. إلى ولديّ الحبيبين رائد ورفيدة.

بلا معنى

شالٌ لهذا الفجر رائحة البنفسجِ..
طيف نافذة تحدّق في المروجِ
كأن موسيقى تجيء لصيقة بالعشبِ
ليل قرمزي يختفي في غابة السرو البعيدةِ
في انحسار الكهرباء عن المصابيح الهزيلةِ
في مفاجأة كعطر البرتقالِ
كغيمةٍ تتجوّلين بشارع في الحلمِ...
هادئة كدوريّ يوزّع ظلّه فوق السنابلِ
-مثلما قمر يسدّد ضوءه فوق البحيرةِ-
رحت أحمل لهفتي، وأمدّ كفّا غضّة نحو الجديلةِ
(ربّما أقنعت هذا الحلم أن يبقى لساعاتٍ)
بلا معنى يمرّ، وترحلين كنجمة في الفجر يائسةٍ
بلا معنى تسير الشمس عارية على سقف من الزلّيج أزرقَ
بركة الماءِ ... الطريق الملحُ..
مقهانا الذي كنّا نودّعه، ونحضنه
ونحمله إذا جسد تفسّخَ في المكانِ

أنا رفيقي في الطريق الرخوِ
أنصحني ... وأسمع حكمة السنواتِ
ثمّ أعود مندفعا بما ترك الشباب على المفاصل من وميض البرقِ
لا معنى لهذا الفجرٍ
كان الليل عرّافا
وكنّا نحمل الأخشاب في دمنا
لنُصْلَبَ كيفما شاء المساءُ
نواجه الأشياء عارية من الأسماءِ
مبهمة كأشباح المغارةِ
(ربّما لو مرة علمتَنا الأسماء كاملةً...
أكنا نقتفي أثر الخطيئة مرة أخرى ؟
سنقنع حينها بدم يفوح كعطر كمثرى)
ولا معنى لهذا الفجرِ
هذا الرمل قدّيس على الصحراءِ
هذا البحر سوناتا لبحّار عجوزٍ
كلّما ألقى شباكا..
تطلع النوتات من أوجاعه فضيّة كالماءِ
هذا البرق وهج عصا تشقّ الأرضَ
تنبت زهرة النارنج في جلد البنايةِ

يستفيق السرخس البريّ في عرق الصخورْ

تلك النجوم كأنها خرزٌ تناثر في يدي زنجيّة

كانت تمدّد جلدها قيلولة عند الظهيرةِ

حين لا تبقى من الخطوات إلا عشرة في آخر الدرب الأخيرْ

لم يبق غيرك في المكانِ

فلا تكن للفجر فاكهةً ... ستؤكَل مرتينْ...

ليل المدينة

أترقّب الفجر الذي يأتي كعادته بطيئا، يقرع الأبوابَ.. يدخلُ.. يستقرّ على حوافّ المزهرية نقطة بيضاءَ، تبتسم الشوارعُ خلسةً..وهناك في جلد البنايةِ تضحك الشرفاتُ، تلقي ظلّها كالنمل فوق الباعة المتجولينَ، صراخهم ينقضّ منكمشا على حلمي فيثقبهُ، وتختلط الرؤى.. ليل المدينة لا ينام كقطّةٍ في الركنِ، يشرب قهوة بعد الظهيرة دفعةً ليردّ أبواب النعاسِ، الليل يطلع من عباءة ساحرٍ، من جوف أغنية تحنّ إلى البدايةِ... ليلنا فحم تيبّس فوق أحجار المنازلِ... في المدينة صبية يتآمرون ليقذفوا حجرا على البيت المقابلِ، طائران يغازلان الريح في شرفات مئذنةٍ تحكّ ذراعها في غيمة الإسمنتِ... هذا الليل لا يمضي، ولا تمضي مواجعنا، أشمّ غريزة العنقاءِ، والعنقاء تعجز أن تعود من الرمادِ، فلا الرماد كما الرمادْ.

يا كاهن الليل الأخيرْ

عبثا تدير الدفة العمياءَ

تبحر في السوادْ

في زورق الخوف المثيرْ

ومـددت في سـحب الظـلام يـدي، فلـم أعثـر عـلى جسـدي هنـاكَ، بخفّـةٍ أتحسّـس الأشـياءَ، أبـصر بالأصابـع مـا تغيّبـه العيـونُ ، رأيـت أزمنـةً تجـيء مـن الدخـان شـحيحة كالمـاءِ، شـيخا تسـتقيم بظهـره المعـوجّ أسرار البدايـة و النهايـةِ.. هادئـا يمـشي لحفرتـهِ.. جبـالا غضّـةً ترمـي معاطفهـا وتحضـن سـاكنيها.. في المدينـة شـارع يتناسـل الأشـباح في طرقاتـه ليـلا، أراهـم يرقصـونَ ويسـكرونَ ويطعنـون الليـل في ملكوتـهِ... حبـلى تعانـد زوجهـا في جنـس مولـود جديـدٍ، لم يـزل متخفيًـا بالغيـب... هـل يـأتي ليشـهد موتـه قبـل الـولادة مرتـينِ؟.. وهـل يعلّـق – مثلـما نصـف الخرافـة– حبلـه السـري مشـنقة عـلى صفصافـة الحـيّ العتيقـةِ؟

في المدينةِ... لهفة العشاق باردةٌ، وطعم العيد مالحْ.

يا كاهن الليل الأخيرْ

كالنصل هذا الدرب جارحْ

وأنا بلا هدف أسيرْ

قطرة ماء

وأنا الآن لا شيء يشبهني
يتبجّح ليلٌ على ضفة النهرِ
بعض الحصى نسوة يتربصن بالماءِ
يكشفن أجسادهن بلا خجلٍ
ويلوّحن بالصمتِ حين تغادر قطرة ماء إلى غير جدولها
في هدوء تغادرُ
كالقرويّ البسيط الذي كان يكبر في حقله ... كلّما أزهرت نبتة
اللوزِ... عشرين عاما
مضى هادئا، وبلا فزع مدّ رجليه في قبرِهِ.
ما الذي ترتجي قطرة الماء من تربة أهملتها أصابعه العشرُ؟
ماذا يخبئ هذا البوارْ ؟
ما الذي ترتجي امرأة نكّستها يد الانتظارْ ...
ذات موت بباب المطارْ؟
الحقائبُ، تلك التي انتشرت كالدمامل في جلدة الأرضِ

صوت المضيفة، ذاك الذي يتأرجح في هدأة الصمت حبل غسيلْ
النوافذُ شاشات عرض خرافيةٌ تستفيق على مدرج الخرسانةِ
كفٌّ تلوّح مثل الشراع بلا هدفٍ
ودموع تسيلْ
قطرة الماء جرح تفصّد في القلبِ
سرب من النحلِ يطلع من شرشف الثوبِ
هذا الهواء المشبّع بالتبغ يزعجهُ
فيغادر من شرفات المطار إلى آخر الأفقِ
كيف يكون البقاء هنا معتما
وتضيء هناك كهوف الرحيلْ؟
قطرة الماء ... هذا الصباح الذي يترنّح فوق الغمامةِ
لو كنتُ طفلا لألجمتهُ
لربطت على ساقه جرساً
وتتبّعته كيف يخفي ملامحه في الغيابْ
قالت امرأة –خبأت نصفها في تراب الحقيبةِ–:
لن يتأخر هذا الشتاء طويلا
وقاطعها الليلُ:
لا شيء يشبهني
ومضى كالغرابْ

ملل

خيط ضوء تسلّل من سرّة البابِ
لم يطرق البابَ
لم ينتظر أن يُتاح له مقعد للجلوسِ
استراح على فسحة في البلاطِ
كقطّة فجر سيامية تتكوّر في فروها نصف دائرةٍ
وحده الضوء يكشف تدويرة الكائناتِ
المداراتُ ..
ركض المواسمِ ..
رجع الصدى ..
رقصة المولويةِ ..
طاحونة القريةِ ..
الشمس حين تسلّط بؤرتها
حلقات النميمة في بيت جارتنا ..
دارة الكهرباءِ..
وختم الإدارةِ..

كلٌّ يميل إلى الإنحناءِ
فكيف تكون تّرى الإستقامةُ ... كيف تكونْ؟
هل تُرى يخطئ الضوء في وصفهِ
حين يكشف عن ساحر تتداخل في يده الحلقاتُ
وتطلع مفردةً ؟
أم تُراها العيونْ
لا تصدّق إلا الذي يستخفّ ببؤبؤها
صاحبي .. (أتحدث عني هنالك في أول العمرِ)
كان يصدّق في لعبة الظلِّ
أن الحمامة ، تلك التي في الجدارِ
سترحل حين يضمّ يديه إلى جيبهِ
مدّ كفا إلى رقصة البندولِ
الدقائق صفٌّ من النملِ
يركضُ.. لا يتوقّف عن لعبة الدورانِ
العقارب سحليةٌ تقضم العمرَ
تبصقه جثة تتكوّر فوق العصا
التجاعيد أثار أسنانها في ملامحهِ
وعلى كفّه رعشة واهنهْ
إنها الثامنهْ...

النهار بأوّلهِ

قطّة الفجر فوق البلاطِ

النهار بأوّلهِ

فعلى أيّ أرض تُراه يحطّ المساءُ؟

النهار بأوّلهِ

كلّ شيء يميل إلى الإنحناءِ

ولم يبق من صوته غير هذا الصدى

والنهار بأوّلهِ

يكبر الصمت بركة ماء نحاسيةً

مدّ عبر الصدى صوته ورمى حجراً

فاستفاقت دوائر باهتةٌ ...

م.ل.لٌ. م.ل.لٌ. م.ل.لٌ. م.ل.لٌ

ظهيرة صيف

الوقت ضحى
في الغرفة ، حيث الصيف يدحرج جذوتهُ
ويرشّ على الحيطان صديدا ملتهبا
عرق يتفصّد في الأشياءِ
فراش الصوفِ...
هواء الغرفة ...
رائحة الضحكات النَاتئة الدكناءِ
السقف خفيضٌ
يغرز ركبته في الجلدِ
يقرفص فوق الصدرِ
فتنفجر الأنفاس معتّقة كسراب النَحل الأسودِ
منبطح من ليلة أمسِ
ظهيرة أمسِ
صبيحة أمسِ

أنا لا أذكر تحديدا كيف اسّاقطتُ
وكيف هوت قدماي بهذي البئر الناشفة الجرداءِ
يمرّ الوقت بطيئا
تنكمش الأرقام على بلور الساعة
قلت : يكون العمر كقشرة موز يابسة تتحاشاهَا الخطواتُ؟
أنا في الغرفة منبطحٌ
أتقرّى الصمت .. ألاحقهُ
فيعلّقني في جذع الريبةِ
قرص الشمس نحاس أحمر يقطر في عرق الشبّاك
تقول ـ وظلك منكمش في هذا السبط المنتوف الأغصَانِ ـ
(الدرب طويلٌ ...
عينك في رمضاء الغرفة تحمل شيئا من أمواه العمرِ
وفاكهة السنوات
يداك كأجنحة العنقَاء
الشمس ـ ككل صباحَ ـ
تفرد خصلتها عند الشلالِ
ترطبها ..)
وتطمئنني
أغمض عينيكَ

فأغمض واحدةً

هل ثمّة ما يدعو للريبة ؟

فالأخرى التصقت برتاج البَابِ

كأني منتظر من يخذلني..

لكن الموت تجنّبني كالعادة ..

هل يمهلني الوجع الذئبَ

لأغمس عينا ذابلة في جدول نومْ ..؟

الوقت ضحى كالأمسِ

كأيام مرّت كقراد ملتصق بالجَلدِ ..

الآن أخذت الحقنةَ..

سوف أنامُ

أنامُ

أ

ن

ا

مْ

لسعة صيف

كيف يأتي الصيفُ ..؟
تلقي نجمة صنّارة للبحرِ
يُرغي لحظةً .. يبتلع الشصَّ
فيهتزّ كأفعى برؤوس سبعةٍ
لكنّ موجا يابسا يعلق في أثوابه
في شرشف الدانتيلِ .. يُبقيه على المَاءِ
فيرخي جلده كالفَارس المهزومِ
لن يبقى من البحر سوى هذا الزجاج الأَزرقِ
الملقى على رمل من النسيانِ ....
لا أذكر كيف اثـّاقلت رجلي إِلى الشاطئ
لكني هناك الآنَ...
لا املك ظلا غير هذا النائم الآن بقربي
تحت أقدامي...
كأني ظلـّه في لفحة الشمسِ
كأنّا توأمانْ..
كيف يأتي الصيفُ ..؟

في الصيف تنام الريحُ
تخفي خيلها في عُدوة من ليل تموزَ
الصباحاتُ نحاس غالب الصفرةِ ..
ظلٌّ...
خيبة في آخر العمرِ ...
شحوب الماءِ..
قرص الأسبرين...
العرقُ .. الملحُ..
وحقل الزعفرانْ

حارس الليل

رسغها في يدي...
من يصدق أن الطريق سيفضي إلى هذه العتماتِ
وأنّا سنقبع في آخر السطر صفّ نقاط
كسرب ذباب تسمّر في ردهة البيت ً
خيط تسرّب من غيمة أدركتها الهجيرة في موقَد الصيفِ
فارتشحت عرقا باردا
رقّة من جناح يطير إلى غير موضعهِ
أستجير به
وبه أطرق الأرض، أفحصها فرسخا فرسخا
ثم في التيه أسأل
كيف يكون الطريق هنا مالحا وهناكَ ....؟
كأنّا التواءان في عنق الدربِ
حين انعرجنا .. مضينا
ولم نكتشف أننا لم نعد نحنُ
كان الطريق دخانا وكنا نسير إلى ضدّنا
لا تصف صمتنا للعصافيرِ

حين تحطّ بلا رغبة فوق حقل من الأمنيات العجافِ
ولا للتي تكنس الشمس كل صباح عن العتباتَ
تقول انتظرني سأولد حين تموت القصيدةُ
أنثى بلا جسد هيأتها الوليمة ذات بوارٍ
فأرخت شواطئها للرذيلةِ
كأسي نبيذ ...
ولكنني لا أميل إلى الشّرب هذا المساء
أغادر من حيث لا تشعرينَ
سأخرج من خصلة الشعرِ
من طرفة العينِ
من سرّة البابِ
أمضي إلى وحدتي..
نسوة يتربّصن بي ـ تلك أحجار ذاكرتي ـ
يتأهبن .. يضحكن
يرقصن في النهر
والنهر أحمرُ
أزرقُ
أخضرُ
أصفرُ

أتعبت ذاكرتي حين رحت أجرجرها وأطوف بها...
لا لأسألها (كيف أخفيت عمري على شجر التوت ؟)
تفضحني العتمات إذا ما خرجت إلى شارع في ظلام الكَوابيسِ
لا ظلّ غيري .. أنا حارس الليلِ
أفعل ما يفعل الأكروبات على حبلهِ
ما تؤججه الساحرات على جسد منهك بالبَخورِ ...
يرطّبنه بالتعاويذ ، لكنّه موغل في اليباسِ
على بعد مترين من قبره كان يقرأ شعرا كرائحة البَرتقالِ ..
شهيّا كمسحوق أغنية بات لصقا على الشفتينِ
طريا كفخذ رفيقته في الحضانةِ
....
يقرأ شعرا هجينا
كقدر تعطّره بالتوابل كفّ عجوز لتخدع جيرانها..
كالمساحيق في وجه أنثى تجاوزت الأربعينَ
تبوح بشيء من الحسنِ .. لكنها لا تقول الحقيقة كاملةً
رسغها في يدي...
ويدي كفراش يحوم بلا هدف ـ سبب مقنع للتشاؤمِ ـ
(حلم الفراشة عند ابن سيرين همٌّ يحلّق فوق الرؤوسِ)
أقول : سيخطئني الموت للمرة الألفِ

أجلس مسترخيا...

أتراها انتهت لعبة الدورانِ ، أم ان الفروع تجدّد حلتها لتبرعم ثانيةً؟

رسغها في يدي وأنا أقرأ الشعرَ..

ذاك الذي لا يُبلُّ له الريقُ

أقرأُ

أقرأُ

أقرأُ

ثمّ أموتْ...

انتحار شاعر

أمس انتظرتكَ
حيث كنت ممزّق الأسمال منكفئا على حجرٍ
تراقب كيف يندفع الصباح إلى السقيفة عبر نافذة معلّقة بمتراس
هوائيّ
ركامك لم يزل متكوّما في رقعة البازلتِ
ظلاً من نحاس
يفضح الخطوات حين تسير داميةً على هذا الأديمِ
أقول : (كيف تركتني ؟
وتركت فوق الرفّ ما يكفي من الألمِ
الحقيقةِ
لعنة الشعراءِ
منقوع من الأعشاب، يعلق بحّة في الحلقِ
قرص الفولتارين)
تركتني ... ومضيتَ
كان الليل ينصب خيمة بين المسافة والرحيلِ
أزقـّة غمست بماء الحبرِ

مئذنةً وقوساً ـ قيل لي للنصرِ ـ
صفا من عواميد الإنارة لا تضيء
تركتني فردا ... (وما كنّا التقينا مرةً)
كانت أصابعنا قصائد مرّة عند المصافحة الوحيدةِ
نادل البوسفور يعرفنا
ويعرف ما تأخّر من رماد في فناجين الذهولِ
يقول لي:
(لم يبتسم هذا الصباح ـ كما تعوّد ـ لم يقل أهلا
ولا سهلا
أطلّ كغيمة ...
ثم انتحى بقصيدة خرساء زاوية أضاءًت بالسوادِ...............
....
أكنتَ تعرفه ؟)
فقلتُ:
(أنا قصيدته الأخيرة، حين باغته الرحيل تحجرت في الطينِ)
غرنيكا .... ويخذلني جبينك في فضاء اللوحة الدكناءِ
مصباح هزيل يكشف الأشياءَ
أشباح عراة يعبرون الجسرَ
أقزامٌ

دمى

شعراء موتى يقفزون بخفـّة في النهرِ..

غرنيكا .... سماء رطبة، جبل جليديّ، صباح غارق في الأبيض المسودّ....

ماذا يفعل الشعراء بعدك ؟

يكتبون قصيدة بالماء والصابونِ

حين تفوح رائحة بأروقة الخيال ، يقول أكذبهم:

(رأيتك ساعتين قبيل موتكَ ... كنت تخرج كفّك البيضاء من جيبي وتنثرها فتبتسم الحقولُ)

يقول آخرُ : (كنت لي ظلّا) و يجهش بالبكاءْ............

ما أكذب الشعراءْ....

ثاناتوس

جثّة في آخر الشارعِ
ليل باردٌ
ضبع من الفولاذ ينقضّ على الوقتِ
فلا تسأل (متى كنتُ ؟)
ستمضي ... ثمّ لا تبقى سوى رائحة الكافورِ
لن يبقى سوى هذا الظلام الدامسِ..
الواقف كالخرتيت في منعرج العمرِ .. يجسّ الأرضَ
يمتدّ على الإسفلت قيحا ودمامِلْ
جثّة في آخر الشارعِ..
غيم ساقط كالفحم في عيني..
خرجت الآن من جلدي لألقاك على حرفٍ من النسيانِ
قلت: (الأرض لا تكفي لنا)
لما التقينا مرة في فندق كالبحرِ ..
كنّا نغمس الدنيا بكأسي شايناَ..
كان الطريقُ .. النهرُ ، ضوءا لولبيا
-مثلما يعتقد الأصفر في فرشاة فان جوخَ-

سماويا..

-كما لو حلّق القطرس في أشعار بودلير-

وقالت أحرف أهملتها في الدرجِ:

(كم شعرا ترى تكتب كي تمشي لهذا الكوكب المنسيّ)

قلت:

الآن يكفيني من الشعر دمي في رقعة الشطرنجِ

يكفيني غنائي في طريق الملحِ

يكفيني جدار- مثلما في مسرح العلبة- ما بيني وبين الناسِ.

يكفي أن تراني طفلتي ... في آخر الشارع ظهرا....

جثّة مفتوحة العينينِ..

ليلا باردا... أقدام خرتيتٍ...

رمادا و دخانْ....

قطار الليل

حتما سأرحل في قطار الليلِ
لن أبقى ليفضحني النهارُ
حقائبي جبل جليديّ تورّم في الأصابعِ
والطريق كأنها العثراتُ، حين يعود نعش فارغ إلاّ من الذكرى...
وأسألُ: (ما الذي أخفيت في جوع الترابِ؟)
يجيبني حلم تيبّس في مشاتلهِ:
(ستلمحني هنالك... لو أصخت السمعَ ... في حجر الشواهدِ)
لا مكان لراهب في هذه المدن اللئيمةِ
سوف أرحل في قطار الليلِ.
سوف أدسّ جلدي في مكان هادئ في آخر العرباتِ..
سوف أذود عن قلقي ببعض الصمتِ..
أقرأ (مسخ كافكا)
-كم أحب رواية بالكاد أفهمها كأحجية الحياةِ-
الدرب زلزال على الفولاذِ
لكنّ القطار يظلّ كالأفعى
كنزلٍ بائس تتطاير الأشياء في باحاتهِ

(من يقنع النزلاء أنّي مثلهمْ..
ظلّ ولا كالظلِّ..
أمواهٌ على سغب تنامُ؟)
أقول أغنية تعلّق لحنها في حافر السنواتِ
ألهثها...
فتبتسم التي في المقعد الخلفيِّ
يخنقني ضباب التبغِ..
كهل في الرواق يسابق الدنيا بأعقاب السجائرِ
والقطار كأيّ نزل بائسٍ
يهتزّ مرتعشا كأفعى لا تجيد الرقصَ..
صوت باهت ما زال يسألُ..
أين يتجه القطارْ؟

هذيان منتصف الليل

هــذه الليلــة لــن تغمــض لي عــينٌ، ســأبقى هادئــا فــوق فــراش التعــب الموحــشِ، أبقــى بعيــوني أمســح الجــدرانَ، ألتــفُّ عــلى خــوفي، أرى الأحــلام إذ تخــرج مــن أبوابهــا البيضــاء، أستنشــق عشــب الليــل في أندائــهِ... (مــاذا وراء البــاب ؟) ـ قالــت نجمــة حطّــت عــلى نافــذتي ـ قلــتُ : امنحينــي لحظــة حتــى أصيــخ الســمعَ .. هــذا الجــدول الزاحــف نحــو البحــرِ، تلــك الغيمــة المقطوعــة الأثــداءِ، هــذا الجبــل الرّابــض عنــد الأفــقِ، أكــواخ مــن القصديــرِ، أشــجار تعــرّتْ، كشــفت ســيقانها للريــحِ، شــمس تتخفّــى في ســخام الغيــمِ.. في الغرفــة إبريــق عــلى طاولــة في الركــنِ، أكــواب مــن الشــايِ، كتــاب تافــه في النقــدِ، أشــعار للــوركا... صــورتي في الحائــط الأملــسِ ـ لا أبــدو حزينــا ـ عندمــا قــال: ابتســمْ، فاجــأني بــرق مــن الكمــيرا فأحنيــت جبينــي مثلــما علّمنــا الساســةُ، نحنــي رأســنا للريــحِ، للأعــلامِ، للصفعــةِ، نحنــي رأســنا كــي ندخــل الزنزانــة الســوداء، نحنــي رأســنا كــي نــترك الزنزانــة الســوداء نحــو القــبرِ، نحنــي رأســنا للموكــب المشــؤوم إذ

يعبر ظهرا فوق أعشاش العصافيرِ.. أنا في الحائط الأملسِ لا أخشى ضجيج الشارعِ، الأصحابَ، لا أخشى رفاق السوءِ، قديس أنا في صورتي (أبدو كعذراء الصخورِ*)، الليل يُلقي خوذة سوداء فوق الرأسِ.. هذا الوطن المعقود في خشخشة المذياعِ، في طابونة الجيرانِ، في صوت نحيف لولبي يرتدي جلد المحطّات ، ولا نعرف من أيّ الجنازاتٍ أتى، (صوت فلسطين) ـ تقول الريحُ ـ صوت الثورة المطعونة الظهرِ.. نشيدٌ باردٌ يطلع من بيت جليليّ، هنا مفتاحه في قبضة الكفّ..

ترى هل يذكر البيدر في الحقل هشيما بعثرته الريحُ؟

هل تذكرنا الأشياءُ؟

قالت: بعد تلّ الزعتر الأشياء لا تبدو كما يرجو غريبٌ نام في الغوطة عصرا، واستفاقت يده اليمنى على ركن من الزُلّيج في حارات مكناسَ، وفي طنجةَ.. هذي الأرض لا تعرفهُ ..هل تكذب الفيزياءُ؟ حين اسّاقط البلور من أعضائهِ، لم ينزل الأرضَ، تلاشى كغبار الطلعِ، لكنّ حقول الملح لا تنبت زهره.

وشحيح الغيم لا ينضح قطره.

ما الذي يبقيك في هذا الرصيف البارد، المظلمِ؟..

ما يبقيك حيّا في طريق الموتِ ؟...
هل تكشف سرّه؟
هــذه الليلــة لــن تغمــض لي عــينٌ، ســأبقى ميّتــا ينتظــر الدفــنَ...
ســأبقى فاغــر العينــينِ.. أبقــى، لأرى مــا لا يــراه الميّتــونْ.

أصفر

أرهف السمعَ
لا صوت يأتي من الحقل إلاّ الذي وشوش العشب للريحِ
والريح لا تكتم السرَّ
تفضحهُ .. وتوزّعه كالهشيم على الأسطحِ
العتباتِ..
وفوق النوافذِ..
فوق الظلال التي غمّست جلدها في حياض من الزعفرانِ
المساحات صفراءُ
ظلّ الحمامات أصفرُ
والكوخ أصفرُ
قطن الغمامة ليمونة تتكوّر فوق الرؤوسِ
الندى مطرٌ حامضٌ
وأنا أرهف السمع للقبّرات التي لا تجيء مع القيظِ
أمشي على دهشتي
أرتديها .. أفتّت أحجارها
حين تخرج من طينها امرأةٌ

هي حورية البحرِ .. قلتُ...
نشيد لهذا الصباح المكلّسِ
ساحرةٌ .. كنت أمشي إليها متى هدّني العمرُ
ألقي على جثّة العشب أشباح قشٍّ
-من الآن لن يتجرأ طير على الحقلِ-
والحقل أصفرُ .. أصفرُ .. أصفرُ
هذا أوان الخريفْ
كن رحيما بنا أيّها الزعفرانُ الكسيح .. الشحيح .. المخيفْ.

رحلة

سُملت عيناهُ .. ولكن الأشياء تظلّ مرتبة كالأوّلِ
طازجة كرغيف فوق بساط الحلمِ
الغيمةُ.. مازالت كالغيمةِ
تلّ رماد منكمشا في الأفقِ
البحر يودّع زرقته في كلّ خريف .. مثل العادةِ
أشجار الليمون كما كانتْ
تتذكّر صفرتها.
سقف القرميدِ
جدار الطوبِ
سياج حديقته الأخضرْ
الشارعُ.. نفس الشارعِ
رائحة البنزينِ
ممرٌّ..
منعطفٌ أغبرْ
ذاك الأبترْ..
لا يذكر كيف انهار الدرب على أطراف أصابعهِ

يحبو

يمشي

يعدو

وبرجل واحدة يعثرْ..

وُقرت أذناهُ..

ولكنّ الألحان تجيء مسرّبة في ضوع العشبِ

نديف الغيمِ..

وفي أحراش الغابة عند الفجرِ

اللحن يجيء كأصداف في قاع البحرِ

الشعرِ

السحرِ

الأسود.. في صمت الأشياءِ

وفي الأسماءِ

الماءِ .. الساقط فوق زجاج النافذة العمياءِ

الناس خذاريفٌ.. لا يعلم كيف تكفّ عن الدورانِ..

تدورُ.. تدورُ بلا جدوى

كغمام مرّ ولم يمطرْ.

الآنَ .. الآنَ..

(أقول الآن ولا أدري في أي تراب سوف أكون غدا)

صدأت في الطين مفاصلهُ..

لكنّ الحلم بأجنحة العنقاءِ..

يكمّم صرختهُ .. ويعلّق لافتة سوداء**The End**.

لا بأس .. سأخطئ ثانية

لا بأس سأخطئ ثانيةً
لن أخسر شيئا لو أقلبت الساعةَ
ثمّ وقفت أراقب كيف يمرّ العمر خبيئا بين مسام الرملِ
الساعة صهريج في الشارع منتفخ الأوداجِ
ينزّ دقائق موغلة في الوحشة
تسقط أرضا ... ثم تغادر مثل فقاعاتَ الصابونِ
العمر يطير بأجنحة كالبومةِ
يصعد جلد جدار مهترئ
ويراقبني...
يتعقبني في آخر منعطفٍ
في السوقِ ...
أمام محطات البَنزين ..
ببقعة أرضَ يحرسها
لتكون ملاذي حين أغادر محمولا فوق الأكتافِ
على شرفات بائسة
حطّت كلماتك عصفورا ...أسراباً لقالق من نارٍ

تتأمل كيف تمرّ الضحكة تاركة آثار دخان أسودَ فوق جدار البيتِ
تقول : - الليل يحاصرني-
(من أين أتتك الرغبةُ ؟ .. أنت العائد من طابور الموتِ
النائم كالإسفلت على طرقات اليأسِ
المفرد بين الجمع السالم والمكسور
المالك دون جميع الناس أقاليد الكلماتْ)
هل تحلمُ ؟
لا .... لا أحلمُ
تلك يداك قراصنة يقفون على أخشاب سفينتهم
يهبون الموجة حين تغادر مثقلة بالصمتِ ضجيجا ملتهبا...
صخبا يستعذب رسم حوافره في طينة هذا الليل الساكنِ
رجع صراخ مرصوف في الحلق كأحجار البازلتِ
أرى قمرا زنجيا منكمشا...
معقوف الظهر كإسكافي الحيّ
زجاجة عطر فوق الرفّ
مخضبة بروائح من تركوك بلا سببٍ
ومضوا للعتمة ..
لم تمهلني الصدفة حتى أفتحَ نافذتي للريحِ
الآن سأبدأ..

لكنّـي لن أخطئ ثانيةً
لن أقرأ شعرا فوق رؤوس الموتى المنتفخين بداء التخمةِ
لا .... لن أخسر شيئا
لو أطلقت فراشاتي العمياء بحقل رمادْ .

اللوحة

فِي اللوحة نافذة دكناءُ تطلّ على مبنى قوطيْ
فرس عربيّ النشأةِ
جاء به فرسان المعبد للذكرى
فِي اللوحة نافذة أخرى
وستار أحمر ينزل مندلقا فِي ظهر اللوحةِ
حيث الواقف ممتشقا سيفا كقضيب الزانِ
ليبدو أنبل من زوار المتحفِ
من شيخ يحمل قِربتهُ..
ويبيع الماء بحبة تمر فِي رمضاء الكوفةِ
أنبل من طفل يتأرجح فوق حبال اليتمِ بباب الرّقّةِ
من كهل فِي مأرب يدرج فِي وضح الخمسينَ
يسلّي وحدته بالقاتِ..
إطار اللوحة من خشبٍ..
من غصن كان يجدّد حلته ليبرعمَ
فِي غابات الأرز بقلب الشامِ
ففاجأه فأس فِي عزّ رجولتهِ

قالت: (ما تفعل هذي اللوحة فوق جدار الطينْ؟)
علّقتُ اللوحةَ
كان الليل يزخ رذاذا أسودَ فوق السقفِ
وفي يدها نقش الحناءِ تجادلني
(ما نفع اللوحةِ)
حين تناسل فوق جدار البيت دمٌ
وتعالت رائحة الكبريتْ.

تتبسّمين

تتبسّمين كأنّ نجما فرّ من غبش المجرّة، واستقرّ حمامة بيضاء في
حقل من الكرزِ،
البساتين التي امتلأت بأشجار من الدرّاقِ،
أسراب من البجع المهاجر تستريح كأنها الأعشاشُ ،
ترخي ريشها فوق الثمارِ..
غمامة مثل الرماد تنزّ أوديةً..
وأسأل : (هل تُرى تبكينَ، أم أن الربيع يجيء في عينيك مبتلا بعطر
الياسمينْ؟).
تتبسمينَ كأنما فجرٌ تجرّد من عباءة ليله
ومضى يوزّع لحمه فوق الأسرّةِ،
تستفيق قصيدة نامت على أرقٍ،
بكُمّ قميصها تمحو قشور الليلِ،
أهداب النعاسِ..
الفجر لايأتي من الأبوابِ،
يدخل خلسة بين الشقوق كأيّ لصٍ يرصد الانفاسَ،
يسحبها ليبدأَ من جديدْ...

يوما تيبّس كالجليدْ.
مالت على كتفي كزهرة لوتسٍ ملّت حياد الماء فانكفأت على صخر
تمشّط شعرها..
هي ليست امرأة بما يكفي لتملأَ درجها برسائل العشاقِ،
ليست موعدا للبذرِ،
ليست غابة من خيزران خبأت سيقانها عند البحيرةِ، في انتظار
الريحِ..
تلك قصيدتي ،
عطشٌ،
رماد فوق مطفأة السجائرِ،
كوب شاي ساخنٌ،
ركن بمقهى خافت الأضواءِ،
شيء من صداع الأمسِ، يتبعني إذا أمشي إلى اليوم المجاورِ،
عثرتي وأنا أسير على الترددِ،
أو أبالغ في ارتكاب الحبِّ..
تلك قصيدتي شيخ ضرير واقف عند الرصيفْ....

حلم أزرق

ستلفّ عباءتها كالعادةِ،
يقفز برقٌ من أطراف أصابعها
ويحطّ على أغصان السروةِ عشّا ممتلئا بثمار الدهشةِ،
ذاك عطارد قد أنهى دورتهُ، ارتاح على أطراف الخاتمِ وهجا أبيضَ..
حين تغادر مثقلة بالنشوةِ،
يبقى العطر يُهدئ من روع الأشياءِ، يطمئنها
(فالغائبة الحسناء الليلة سوف تعود قبيل الفجر محمّلة بسلال من
أحجار الضوء وأرغفةٍ..)
وتصدّقه الأشياءُ ،
رصيف الشارعِ،
أبوابٌ،
ونوافذُ،
تلويحات الكفّ على شرفاتٍ نائمةٍ..
لكنّ العطر يخون كعادتهِ..................
من خمسة أمتار أتأمل هذا المشهدَ، عند جدار مهترئٍ،
لكنّ القلب بعيد آلاف الأميالْ.

أتحرّك مندفعا كالصخرة نحو الماءِ،

لعلّ الماء يُمسّح ما تركته العتمة فوق جناحي ليلة أمس،

وكنت أراهن أن امرأة الليلة تلكَ ستترك بعض حوائجها في عنق الليل لأذكرها في كل مساء متّشحٍ بالظلمةِ.. كنت أراها في عطش الكلمات مدوّرةً كالفاءْ،

معقوفة ظهرٍ مثل النون بآخر حزن أحمله في النبضِ..

تلفّ عباءتها، وتغادرُ..

أصرخُ،

تخرج من شفتي الكلمات فتيلا محترقا..

تتكوّر عند الحلق وتطلع عبر مسام الجلد قصيدة شعرٍ طافحة بالحمرةِ،

أحملها وأقول (زجاجة عطر أهدانيها اللهُ .. فما أسلمت لتلك الليلة أحصنتي، ما كنت سوى حجر في ركن منكفئ .. ما خنت أمانتهُ.)

....

لكنّي خنت أمانتهُ

زائر الليل

قمرٌ يواعد غيمة شهباء بين السروتينِ
تجيء مسرعة تجرجر ما تعلّق من رماد في حوَافرها
تعانقه بحضن باردٍ
فيشيح عنها تاركا عقدا من النجمات منفرطا على عنق تفحّم في
الفراغِ
تجرّ خيبتها، تغادر هشّة كأصابعِ العشاق في وضح الوداعِ
تسير نحو التلّة الجرداءِ
تنصب بيتها بحجارة مرصوفة من كبرياءٍ
ريثما تجلو خيول الفجر عن سيقانها غبش المساءِ ....
غمامة أخرى تمدّ ذراعها
لكنّما القمر (اللعوب) يظلّ مبتسما
كدينار يشوّش عتمة الفقراءَ
يسقط حبل ضوءٍ ... يهتدي لزجاجِ نافذتي
ويترك بصمة فوق الوسادة
ثم أسأل .. (أين يختبئ الظلام ؟ .. هناك عندَ التلّة الجرداء ، أم ما
بين رأسي والوسادةِ ؟)...............

باردٌ هذا الأديم الملحُ
أصوات كطرطقة النعال تنجّس الصمت الجليل بنقرتينِ
أقول : (من؟)
فيعود صوتي شاحبا كالماءِ
خشخشة على المزلاج تفتحني
وتغلق ما تبقّـى من نعاس في مسام الجلدِ
ألقي النوم عن عيني
وفي درج الخزانة رحت أخفي بعض أحلامي .. كوابيسي
أصيخ السمعَ
لا .. لن أفتح الأبوابَ
سوف أعيد ترتيب الأماكنِ
ها هنا في الركن مطفأة السجائرِ
قهوةٌ
إبريق شاي ساخنٍ
قنّـينة الصودا
وشيء من نبيذ هارب من ليلة الأمسِ
الجدار مرتبٌ وعليه آيات من القرآنِ
مسبحة من العاج العتيقِ
أنا هنا جسد هلاميٌّ

نبات صالح لجميع أشكال الحياةِ
فلا تخف يا قلبُ
طرقٌ خافتٌ....
لكنّني لن أفتح الأبوابْ.......

شيزوفرينيا

في طريقـي إليّ عـبرت إلى تلّـةٍ تتعثـر فيهـا خطـاي إلى النبـعِ، يدهشـني أن أراني هنالـك في صفحـة النهـر وجـهَ صبـيّ ترجـرج في الطـين والمـاءِ، قـال: (ابتعـدْ... أتـراك سـتصبر لـو فاجأتنـا مـن الوحـل نرجسـتانِ؟) فـراش يحلّـق بيني وبيني ويحتـار في أي وجـه تحـطّ كلاليبـهُ، غيمـة عُلّقـت بالمسـامير، مـا أسـلمت للريـاح جناحـا ومـا اسّـاقطت مطـرا فـوق عشـب الحديقـةِ... كنـتُ أنـا أصغـر الأصدقـاءِ، وكنّـا نراهـن (مـن يعـبر النهـر، يكـبر قبـل الجميـعِ) وكنـت أنـا آخـر العابريـنَ، وأوّل مـن صدمته الظهـيرةُ.. كـم كنـتُ فجّـا عـليّ..! أجاهـد نفسي لأرسـم قلبـا عـلى جـذع زيتونـةٍ وأعانقـهُ، أتوحّـد فيـهِ، أصـير أنـا نسـغه السرمـديّ.. وأعـبر عنـد الظهـيرة للسـوقِ، أبحـث عنّـي هنالـك في أعـين الواقفـين، وفي السـوق كلٌّ فلاسـفةٌ يسـلخون الحيـاة عـلى كـوب شـايٍّ، ركام مـن النـاسِ.. لا تسـأل الباعـة الواقفـينَ، فكلّ البضائـع ذائبـةٌ في الكسـادِ، وألمحنـي حـين ألمحنـي في الرصيـفِ، وأمنحنـي قطعـة مـن رغيـفٍ لأذكـرني حـين أرجـع ثانيـة في المسـاءِ... ويـأتي المسـاءُ، جميـع العيـون سـيثقبها الليـل حـين

يجـيءُ ، ولكننـي مبـصرٌ في العمـى، أسـتطيع اكتشـافي هنالـك في الركـن كتلـة لحـمٍ، عـلى حافّـة المـوت أرهقهـا المـشي طـول النهـارِ... وأسـأَلُ (هـل كنـت أعرفنـي في عيـون الرفـاقِ؟).. طريقـي إليّ طويـلٌ، ونحـن معـاً في جميـع الجهـاتِ، أنـا وأنـا وأنـا، مـدنٌ في الزحـامْ.

مطاردة يائسة

بنفس الطريق الجهم أمشي على ظهري
وبالخطوة العرجاء أجري..
ولا أجري.
أجادل نفسي.
قد تكونُ!..
لعلّها!...
عساها إذا جاءتْ.
فرشت لها عمري.
تغيّرتَ ـ قالت ـ لم تعد أنتَ.
ماالذي تبدّل..
وجه الأرض أم أنتَ ؟
لا أدري.
أراك غريبا حيث كنتَ..
على المدى..
على سارحات الغيمِ..
في المدّ والجزرِ.

....

أعود كزغب الطيرِ..

كالظلّ ... كالصدى.

وعذري الذي في القلبِ.

أنّي بلا عذرِ.

أقاسمها سرّي إذا جنّ ليلها.

كقنديل زيتٍ..

بتّ أطعمه سرّي.

أعدّ خطاها في ذهاب وأوبةٍ.

فتمضي..

ولكنّي .. أعود إلى الصفرِ.

ولو كنتُ نفسي لاقتفيتُ طريقها.

إلى آخر الدنيا..

ولكنّني غيري.

عبق الرحيل

عبق المصافحة الأخيرة غير ما ألفت أصابعنا، كأن جميع أشرعة الرحيل تعلّقت بين الخلية والخلية فافترقنا... ربما سنكون أقرب لو تباعدنا قليلا، مثلما قطبان للحجر الممغنط.. قلت: (كيف نكون أقرب في التنافر؟).. إنني في هذه الزنزانة، القبر الجليدي الذي خلّفتني.. لا أذكر الأشياءَ، لكني سأذكر كيف كنا نمنح الخطوات إيقاع البداية كلما سرنا على حقل التوحّدِ.. مبهم هذا الصباح/ الليلُ.. هذا الأسود الملتفّ مثل عباءةٍ... وشوشت نافذة تعلّق في جدار الفحم ضوءا خافتا:

(ماذا وراءكِ؟.. ما الذي تخفين خلف زجاجك الفضيّ؟.. نهرا كاذبا؟.. أنصاف أسئلة، وأجوبة كأقزام الخرافة؟.. شاطئين يؤرجحان العمر بين حقيقتين، ويصرخان كأن قرصانا على الجسد المسجّى؟).. كان حبل الضوء يسقط مثل مشنقةٍ، فأتبعهُ، يسلّمني إلى حمّى بأجنحة اللقالقِ، حين أسقط.. أو أطارد وهج طائرةٍ تعلّق في رصيف شاحب

خيطـا رفيعـا مـن نديـف القطـنِ (أيـن تغادريـن، وقـد حفـرت عـلى جناحـك مـا تأخّـر مـن تـراب في طريـق التلّـة الجـرداءِ؟ .. أيامـي التـي كانـت بلـون الفسـتق الحلبـيّ؟.. شرفـة منـزلي المفتوحـة العينـين؟.. مقهانـا التـي كانـت تعـبّ الشـمس في يدهـا وتعصرهـا كحبّـة برتقـالٍ ؟..)... مثقـل جسـدي كأنّي سـلّة عبأتهـا بفواكـه الخيبـاتِ، أبـصر مـا تضيّعـه العيـونُ، أشـمّ عطـر الضـوء حـين يمـرّ متكئـا عـلى جلـد الجـدار كأيّ وشـم ناتـئ القسـماتِ.

هـل تتذكريـن عقـارب السـاعات، كيـف تـدور مسرعـة متـى كنّـا معـا؟... كان اللقـاء كومضـة عجـلى...

أجبتـك حينهـا: (سـنعيش ضعـف حياتنـا بـين المحطّـات الكئيبـةِ و الحقائـب)

لم تـردّي... كنـت مثـل حديقـة مزهـوة بقرنفـل يخفـي توجّعـه بضـوء هـارب مـن حمـرة البتـلات...

لكني حزمت حقائبي...

بيتي

البيت بيتي...
جداري .. غرفتي .. سقفي
زجاج نافذتي المكسورِ..
ما يخفي.
آنية الزهر عند الركنِ..
مدفأتي..
إبريق شايي .. قصاصات على الرفِّ
تلك الوسادةُ..
كم أطعمتها أرقي
وذلك التختُ..
كم ألقمته ضعفي
بيتي الذي كل ركن فيه يذكرني
ساعات حزني..
بكائي .. فرحتي .. خوفي
به خرجت إلى الدنيا.
به درجتْ رجلايَ.

في سجنهِ عانيت ما يكفي.
إن ينضح السقفُ
ذاك الماء بعض دمي
من ذا يجادلني ؟
مفتاحه كفيّ.
إن شئت أحرقتهُ..
أو شئت أغرقتهُ..
أو شئت قسّمته نصفا من النصفِ.
أو شئت أخفيته في جيب أمنيةٍ.
أو شئت ألقيتهُ في آخر الصفِّ.
البيت بيتي
فما للريح تزعجني ؟
تدقّ بابي بكفٍ مجرمٍ جِلفِ.
إن يسقط البيت عند البابِ..
أحملهُ..
يظل بيتي وإن ضيّعتهُ خلفي

موسيقى

(دو)

بركن هادئ في آخر المقهى

أرى الأشياء تحبو في ضباب التبغِ

تخفي وجهها ظلا على عين النيونِ

الضوء يهوي كتلة بيضاءَ

يلقي ظهره العاري على ظهر الجدارْ

قدح الشاي

بخار دافئ يملأ عيني

قرقعات الدومينو

صوت المغني يخرق المذياعَ

هذا الظُهرُ لا شمس هنا إلا أحاديث الكراسي للكراسي

عن أناس عبروا ...لم يتركوا ظلا على الأرضِ

تلاشوا كالغبارْ

وأنا من ألف عامْ

أحتسي في الركن أياما طوالْ
أخدع الغصّة بالرسم على الحيطانِ
بالشعرِ
بترديد الأغاني
قدح الشاي معي
قنّينة الصودا .. رحيق البنِّ
أنفاس الدخانْ
دهشة الطفل على وجهي تنامْ
أيها الطفل الصغيرْ
أيها الساكن في أحراش قلبي كالملاكْ
ابتسم حتى أراكْ
خارج المقهى تسيرْ

(ري)
فتحت الباب لا أذكر منْ
فالوجه منقوش على العتمةِ
كان الزائران الليل والريح يصبّان على الردهة ظلا باردا
لن تهتدي للضوءِ ـ قال الليل ـ

حتى لو تركت الباب مفتوحا
وكان الضوء أنتَ
الريح تلهو فوق أسوار الحديقهْ
ثَمّ أوراق تناساها خريف الأمسِ
أحلام رقيقهْ
من رأى الريح ؟
أجبني أيها الليلُ ... أجبني
هل تشي بالريح أسمال على حبل غسيلْ
شرشف الدانتيلِ .. منديل من الكتان أخضرْ
حيثما مالت يد الريح يميلْ ؟
.. أيها الليل أجبني
هل يشي بالريح فستان فتاةٍ
كشفت عن ركبتيها زفرة في الشارع المأهولِ
في عرض الزقاقْ
فتوارت خجلا
تحمل وجها ساخنا بين اليدينْ ؟
.. أيها الليل أجبني
ربما لم تحتملنا هذه الأرض ضيوفا
فاحملينا كذباب تافهٍ ـ أيتها الريحُ ـ

احملينا.. كيفما شئت وأينْ

(مي)

أرى من شرفة في الطابق الرابعِ

من حيِّ **La Rue de France**

هذا الشارع النابت كالعشب بعيدا عن عيون الشمسِ

أرقام على الحيطانِ

ظلٌّ باهت يمتدّ كالأفعى

رصيف ضيّق يستنطق الأقدام كالبوليسِ

قالت جدةٌ ـ كانت تجوب الكوكب المنسيّ ظهرا ـ:

(بيت من ذاك الذي في آخر الشارعِ

ذاك الأخضر القرميدِ ؟)

كانت أعين الناس على تنّورة حمراءَ

أرخت ساقها للريحِ

تلك العانس الشمطاءُ

تخفي جسدا أنهكه الصبر وجمر الإنتظارْ

تتوارى في الدكاكين القديمةْ

مثلما تُخفي مناديل الهزيمةْ

عن فوانيس النهارْ
ما الذي تفعله قارورة العطرِ
إذا انقضّت على برعمها اليابس غابات لئيمةْ
ذلك الدغل من الإسمنتِ...
لا أذكر في أي زمان نبتت للماء أسنانٌ
ولكنّي أرى في الحائط الرطبِ
بكاءً مالحا كالبحرِ...
ما يبكيك .. عزف الريح أم صوت المغنّي
حين يلقي في جراب الصمت لحنا كالصديدِ ؟
ما الذي يُبكيك..
أبواب الحديدِ؟
نغمة الفولاذِ؟
أبواق السياراتِ؟
طنين النحلِ؟
أم ترنيمة المالوفِ في ثوب جديدِ
تعبر الشارع همسا كنديف القطنِ؟
ذكرى عاشقينْ
يقضمان الوقت في دكّانة الـ**Pizza**
بهذا الدَرَج المصقول بالأقدام كانا يرحلانْ؟

لم يزل ظلهما لصقا على الجدرانِ
لكن يرحلانْ...
كضرير يُبصر الأشياء باللمس سوادا ناعماً
نعمة الإبصار قد تصبح جُرماً
حين لا نبصر إلا الأقنعةْ
ما الذي يمشي معهْ ؟
أعيون الكلب أهدى من ملايين العيونْ ؟
كان يمشي رافعلا ذيلا هزيلاً
ليراه المبصرونْ..................
كلِحاء الشجر اليابسِ
كان الليل يُلقي غيمة كالفحمِ
أسمالا على الحائطِ
ظلاً ... وشراشفْ
وحده الركح على أقدامه العرجاء واقفْ
وأنا ... في الشرفة البلهاء خائفْ.

الحجرة السوداء

ليس للحجرة باب .. علبة الاسمنت ، جدران صفيح بارد تحتجز
الصوتَ
فلا نسمع إلا خشخشات تجرح السقفَ
تبعناها بصوت المقرئ الأعمى
خشعنا مثلما يخشع دوريّ على شاهدة القبرِ
حفرناها على ما ظلّ مشدودا من اللحمِ
وصلّينا كما لو أنّنا نستقبل الموتَ
مشينا خلف موتانا..
مشينا .. لم نبح بالسرّ
كنا كنقوش فجّة في حجر اللحدِ
وكان الطين يرتدّ إلى موطنه الأصل
صرخنا ... وحملنا الصوت للغيماتِ
علّقناه في أنشوطة الريحِ
(لعازرْ) ...لم يعد في الحجرة السوداء غيري

فأعنّي لأرى كيف نفضت الموت عن رجليكَ
..................كان المقرئ الأعمى يضمّ الصوتَ
يجمعه ويبري رأسه فيصير كالقلم الرصاص مدبّبا
وخزا على الشفتينِ
(ياسيـــــن ....) الحروف تصير مئذنة تنادي للصلاة البكرِ
كيف يكون هذا اسمي وأجهله ؟
المنقّط بالثقوبِ، الواهن المذبوح
يفرده الضرير بساط حلفاء على برد السقيفةِ
واهن الذكرى، خميصا أختفي في الحجرة السوداء
لا باب .. ولا ثقب لأرمي نظرة للغيبِ
أتبع في الفراغ ذبابة زرقاءَ
لحم الوجه أزرق
والبصيرة كالدخان غمامة حطت بها الريح الخجولة فوق نافذة الغريبِ
أقول : « كيف تركت أثلام الحقولِ
لكي تصبّي ماءك العذريّ فوق مدارج الخرسانةِ؟“
اسمي ...كلما قرأ الإمام تشنّجت عضلاتهُ
(ياسيـــــن ....) أم تعويذة سوداء في لغة الكبالا
تحضر الأشباح منتكسين في جمر السلاسلِ

مهطعين رؤوسهمْ

........................هللويا ... هللويا

مجّدوا الغيمة في عليائها

بيضاء لا تأوي إلى ظلمة كوخٍ

مطرا يلقي إلى السقف نثيثا حامضا

شمسا نحاسا ، جثة مفتوحة العينين في جبّانة الفجرِ

...أنا في الحجرة السوداءِ .. حيث الباب لا يفضي إلى شيء

ولاشيء سوى لسعة برد تقرص الخدين

ما يبقيك حيّا ؟

كل من تعرفهم صاروا سواهمْ

رفقاء السوء.. شيخ القرية الأعمى

عشيقات الصبا

مجنونة الحيّ التي كنت تحب انتحرتْ

أنجبت مسخا برأسين وستين ذراعا

وانتهت لحما قديدا في الطريق العامِ

زيتون الجبال..

............الظلّ تحت شجيرة العلّيق .. ماء النهرِ

عطر النرجس البريّ...

ما يبقيك حيا ؟

أيها المسكون بالاسمنتِ
فلترحل بعيدا ... هاربا من هذه الكمّاشة العظم
التي تبقيك منتصبا كأشجار الصنوبرِ
كلّما كسرتك زوبعة، أناخ عمودك الفقريّ
كن رخوا ... تماما مثل دود الأرضِ
كن رخوا ... كأنّك لم تكنْ.

نتبادل الأدوار

نتبادل الأدوارَ، أنت الآن ساكنتي
أنا باب المدينة، سقفها، أسوارها الطينيّة الحمراءُ
فاتجهي إليّ ، ضعي حقائبك الثقيلة واستريحي حيثما شئتِ
البيوت جميعها وقفٌ عليكِ ....
عليك أن ترخي قوامك في سرير دافئٍ
أنا شرشف الكتّانِ، عطر المزهريّةِ
أوكسجين الغرفةِ
الكتب القديمة فوق رفٍّ هادئٍ
أرأيت كيف حروفها انفجرت حمامات تتمتم باسمك الورديّ؟

....

أنت الآن جائعةٌ؟
إذن سأكون فاكهة الفصولِ
أنا رغيفكِ

سلّة الدرّاقِ
زيتون الجبالِ
أنا نقيع الضوء في كأس الزجاجِ
الشرفة/ القصر المطلّ على الرصيفِ
الشارع المأهول يلمحنا
سنهبط كوكبين إلى الطريق العامِ
هل أبصرتني؟
أنا أرضه الإسفلتُ، جدران الرخامِ
....
اليوم مفتوحٌ
أنا لا ليل فيّ
أنا نهار دائم، شمس معلّقة على الحيطانِ
تضحك حين تبتسمين، تزداد اتساعا، قد تصير جميلة كجمال
وجهكِ
هل رأيت سحابة كالقطن تغسلنا بماء الوردِ؟
تلك قصائدي......
نجري معا ...نبتلّ ... نضحك ... نسلم الأعضاء للنوم الخفيفِ
ونستفيق بركن مقهى دافئٍ
أنا شايهُ والبنُّ ، نادله الأنيقُ

أنا الطريقُ

وفتنة الضوضاءِ

فالضوضاء موسيقى

فهل سأكون كورساكوف ... تشيكوفسكي

لنرقص رقصة الفالس المثيرةَ؟

لا أجيد الرقص مثلكِ

لا يهمّ ... سأكتفي بتتبّع الخطواتِ

أنت الآن ساكنتي

إذن .. نتبادل الأدوارَ

يوما ما سأكسر قمقم المنفى

سأمسح في ترابك لحم وجهي

المهاجر

السماء التي تتمدّد فوق الرؤوسِ
السماء الصقيلةُ
رقعة ثوب معلّقة بالمسامير في شرفة الوقتِ
شمس تسلّط بؤرتها في زجاج النوافذِ
هذا الصباح الملثّم بالغيم، لن يستقرّ على فرسٍ
سيظلّ هنالك في مربط الأفقِ
ماذا تقول محلّلة الطقسِ هذا الصباح؟
(تأخّر هذا الشتاء طويلا.. تأخّر أكثر مما انتظرتَ .. وأكثر من رغبة الإنتظارِ
انطلقْ ...
ليس من سببٍ للتحجر في ركن مقهى
انطلقْ ...
ليس من سببٍ للتكوّر في معطف الصوفِ
يكفيك هذا السكون رداءً .....

إذن سوف أحزم أمتعتي وأغادرُ
أحملني في ارتعاشة كفّ وأرحلُ ..
كلٌّ هنا مستقرٌّ على لونهِ
فالسنابل خضراءُ
والعشب أخضرُ
والعشّ أخضرُ
سرب اللقالق ما عدت ألمحه يخرق الغيمَ
حتى العصافير مالت إلى دفء أعشاشها
البحر أزرق فوق احتمال الهدوءِ
القوارب تأتي محمّلة بثمار الملوحةِ
كلٌّ هنا مستقرٌّ على شكلهِ
هل أكون الوحيد المهاجر هذا الصباحْ؟

غرنيكا

المسرح منشغل بإعادة توزيع الأدوارِ
ثلاثتنا سنعيد بهاء الصفقةِ
هذا الركح الأسودُ
تابوت الأحلامِ
أنا ....
من يأكل لحم الآخر، يسكب ماء سلالته في الرمل ويرحل فردا
منفردا
سأصدّق هذا الثعلب
هذا الرابض ما بين الجمهور الأعمى
المسمول العينين
يبشرني بغد لا موضع فيه لطعنة حلم
مثل مساء قوقازيّ أحمله في برد القلبِ
أصدّقه .. وأصدّق ضوع العطر النابت في شرفات لم تصدمها
اللحظةُ

يا هذا المصدوم بفتنتها
بحفيف أصابعها في كفّك
ثمّة أطفال هربوا قطعانا صوب الغابةِ
ـ ليس هنالك ما يدعو للفرجة ـ
طائرة الورق احترقت
لكنّ نوارس فولاذ تتعلّق بالسقف الغسقيّ
البرد ، الجوع ، العطش، الموت ، القيظ الأحمرُ
أطفال يهبون بنوّتهم للريح الآثمةِ
ارتدّي ، لا خيمة خوف تسكنها الاعصابُ
ارتدّي ... ثمّ بذور الحرملِ، أزهار الغاردينيا
قد تنفجر رصاصا أحمق فوق جثامين الأحياء المختبئين بوحل رجولتهم
لن يبقى غيرك ...
هذي الأرض الفانيةُ، الملفوفة بالشطحاتِ
قرامطة يقفون على الأبواب وحشّاشون، صلاة القربان الوثنيّة
تسقط جدران برذاذ أحمرَ
يسقط أندلس فألملمه حجرا حجرا
في الضاحية الأخرى تسجد فاتنة لإله الخيبة (بيكاسو)
فتصير بضربة فرشاة مدنا قاحلة

(غرنيكا)

عذراء اللوحة ، دمع منسكب
ويد تتهجّى الضوء بقنديل مبحوح اللكنةِ
ثور إسبانيّ أهوج
خوذة نازيّ ، وجواد منكسر مطعون الصدرِ
الطعنة قد تمتد بلادا ، غابات ، وجبالا
هذا الوطن الاسفنجيّ
الوطن النابت مثل دمامل في جسد يتقلّب فوق سفافيد الفوضى
الحمراء
وايديولوجيا السيكلوبِ
على كتب التاريخ الداعرة الشمطاءِ
(فرانكو) من أي الصفحات أتيت؟
أأنت الطالع من زبد الصلصالِ؟
الواقف مثل جدار بين الله وبين الناسِ ؟
المسرح منشغل بإعادة ترتيب الأدوارِ
القاتل قد يتستّر في جلد المقتولِ
اللعبة واضحةٌ
الماء الآسن قد يرتدّ زلالا
هذي الشمس الدائرة المصفرّة قد تتلبّس في لحظات جنون فالتة ثقبا

مسودّا

آه غرنيكا

القلب فقير منعدم

لا أملك إلا الشبّ على الشفتينِ

أهرّب حلما

أحفره في جذع الوقت بإزميل الضحكاتِ

الجذع يجفّ، تجفّ عصارته

لكنّ الحلم تسرّب نحو اللبّ ...

الجذع تحوّر قطعة جمر ترسمها النيران بموقد فحم شتويّ

لكنّ الحلم تطاير في الأرجاء دخانا أسود......................

....

هل سنعيش بخيط دخان ؟

الفهرس

الإهداء	03
بلا معنى	05
ليل المدينة	08
قطرة ماء	10
ملل	12
ظهيرة صيف	15
لسعة صيف	18
حارس الليل	20
انتحار شاعر	24
ثاناتوس	27
قطار الليل	29
هذيان منتصف الليل	31
أصفر	34
رحلة	36
لا بأس سأخطئ ثانية	39
اللوحة	42
تتبسمين	44
حلم أزرق	46
زائر الليل	48